

قراءة لسانية فلاح البناء النصى للقرآن الكريم

أ. بن الدين بخولة

جامعة وهران

ملخص:

نحاول فى هذا المقال استنتاج منهج لسانيات النص وما يقدمه من جديد فى تحليل النص واستكشاف بنياته الداخلية والوقوف على بلاغة تماسكه وانسجام عناصره ومنها ننظر إلى النص القرآني الكريم فى ضوء تصورات علم لغة النص.

Abstract:

In this presentation, we try to interrogate approach linguistics text and submit it in the text of a new analysis, explore its structure and stand on the eloquence of cohesion and harmony of its elements, including a look at the text of the Qur'an in the light of the perception of science language text.

مقدمة:

لقد تناول النصي القرآني بالبحث علماء الفقه ،
والأصول والتفسير والبلاغة بتوظيف كبير من العلوم والآليات
والأدوات التي تحيط بالنص القرآني الكريم واستكشاف قيمه
الدلالية وجوانبه الجمالية، فكان هذا العلم أقرب إلى النهج الذي
سلكته لسانيات النص.

لم يعد الاهتمام في تحليل النص محصورا في البحث
في الأصوات والمفردات والتراكيب والجمل، ولكنه جاوز ذلك
إلى اقتحام مستوى اكبر هو البنية العامة للنص، فالنص يحكم
على المنهج بالانفتاح والحركية والاستجابة الموضوعية له.

وميزة لسانيات النص أو نحو النص أو علم النص
أنه أفاد من نحو الجملة مبنى ومعنى، ومن الدراسات الأسلوبية،
وأضاف ما يثبت نصية النص وبلاغة الخطاب من غير تجزئة
النص، فكل ما ساعد على تصور النص كيانا لغويا متعدد
المستويات، مكونا من أجزاء مترابطة ، النص نظام واقعي فعال
على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضي . والجملة
كيان قواعدي خالص يتجدد على مستوى النحو فحسب، أما
النص فحقه أن يعرف تبعا للمعايير الكاملة للنصية textuality

(1) ومنها سياق أو دوافع الموقف contextual (2) motivation).

وصلة علم لغة النص بالدراسات اللسانية الحديثة لا يعني انه وُلد في كنفها، فهو علم الطبع والتذوق للعربية ولهذا فلا يقتصر علم لغة النص في نسخته الأعجمية من أجل تحليل النص العربي البليغ لأنه لا يقوده بالضرورة إلى فهم أسرار النص العربي المبين ، أما تحليل النص في العلوم العربية والإسلامية فقد داخل كل فروع المعرفة ، فعلم النحو في مقاصده تحليل للنص في مرحلة أولى من مراحله لا تستقل بنفسها وهو في هذه المرحلة تُنظر في العلاقات والروابط بين الكلمات للوقوف على بنية الكلام ، فإذا غابت العلاقات والروابط تفكك النص وفقد شروط البناء اللغوي ، فالبلاغة أدخل علوم الآلة في تحليل النص لأنَّ " كل مفردات هذا العلم في صميم علم تحليل النص ابتداء من مقدمة الفصاحة والبلاغة

(1) روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والأجراء ، تر، تمام حسان ، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2007، ص، 90.

(2) أورد روبرت دي بوجراند ، المعايير السبعة التي تجعل من النص نصا أو أساسا لإنتاج النصوص واستعمالها وهي السبك (الترابط النحوي) الالتحام (الترابط المفهومي والمعنوي) القصد (قصد المتكلم لإيصاله رسالة إلى المخاطب) والقبول (قبول المخاطب للنص من حيث هو كيان متلاحم) ورعاية الموقف (يتضمن الوسائل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد ، والتناص (يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به) والإعلامية (الإخبار) ينظر النص والخطاب والإجراء، ص 105.

وانتهاء بأصغر فن بديعي، كل هذا وسائل وأدوات تعين على
استكشاف جوهر النص واعلم أن كل نظر في المباني لا غاية
له إلاّ النفاذ إلى المعاني ⁽¹⁾.

لقد تناول النص القرآني بالتفسير والتأويل علماء الفقهاء
والأصول والتفسير والبلاغة والنحو ⁽²⁾، ولكن علماء القرآن
والمفسرين البلاغيين للقرآن الكريم كان لهم النصيب الأوفر في
مقاربة النص القرآني وذلك بتوظيف كبير من العلوم والآليات
والأدوات التي تحيط بالنص الكريم من جوانب متعددة
ويستكشف قيمه الدلالية وجوانبه الجمالية وعلاقاته الكلية.

المصطلح:

النص: النص مصطلح له دلالات تتفاوت بين العموم
والخصوص فهو عند علماء الأصول نوع من أنواع دلالة اللفظ
على معناه ، أما عند المحدثين فهو نسيج هام يتألف من خيوط

(1) محمد محمد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1427هـ،
3006م، ص، 14.

(2) أشار إلى ذلك: د/ تمام حسان ، عندما بين أن فهم النص القرآني الفهم الصحيح لا
يحصل إلا في نطاق ما أنشأه علماء العربية واللغة والبلاغة وغيرها من مناهج وطرق
للبحث ، وإذا التزم الباحث بجهود العلماء السابقين ، فلا بد أن يتناول النص القرآني
الكريم بمصطلح هؤلاء العلماء لأنه لا يستطيع أن يستخرج حقائق التحليل العلمي إلا
بواسطة المصطلحات المذكورة ينظر: تمام حسان / مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن/
عالم الكتب ، القاهرة، ط1 ، 201م ، ص، 274.

متناسقة ويتعدى الجملة باعتباره سلسلة من الجمل يضبطها مبدآن ، مبدأ الوحدة ومبدأ الاتساق والتناسق، وقد استعمل مرادفا للخطاب فى أدبية اللسانيات ، فالتعريفات التى ورد عليها النص حديثا كثيرة ومختلفة، فبعضها يقصر النص على المنجز كتابة ، وبعضها الآخر يجمع فى تعريف النص بين المكتوب والملفوظ ومنها ما يراعى فى التعريف جانب الوظيفة التواصلية، ومنها ما يهتم بعنصر التتابع بين ألفاظ النص، ومنها ما يركز على الوظيفة الدلالية للنص⁽¹⁾.

الخطاب:

كيان لغوي يتعدى الجملة من حيث الحجم ، ويلابس خصائص غير لغوية، دلالية وتداولية وسياقية ، ويندرج فى حيز الانجاز أكثر من اندراجه فى حيز القدرة اللغوية ويتخذ موضوعا لدرس لسانس منفصل يُدعى بلسانيات الخطاب أو تحليل الخطاب فى مقابل لسانيات النص، ويدخل فى الخطاب الكلام والمتكلم وبيئة التنزيل وسياقه وأساليب التخاطب والخطاب القرآني يتوجه إلى المخاطب لتغيير شأنه وحاله والتأثير فيه وإقناعه بالمضمون الجديد والرسالة الجديدة، وينماز

(1) ينظر الفروق بين تعريفات الباحثين للنص : سعيد حسن بحيري ، علم النص، إبراهيم خليل فى نظرية الأدب وعلم النص، والأزهر الزناد ، نسيج النص، وصلاح فضل/ بلاغة الخطاب وعلم النص وأحمد عفيفي ، نحو النص، اتجاه جديد فى الدرس النحوي.

الخطاب القرآني عن الخطاب البشري في أنه خطاب رباني
متعال يحمل وحيا وإعجازا وقدسية يتعبد بها.

لسانيات النص وتحليل الخطاب

اقتضى تحول الأنساق المعرفية و حركيتها الانتقال من
نحو الجملة إلى علم لغة النص ومن النظرة الجزئية للخطاب
وما يرافق ذلك من هيمنة الوقوف عند حدود الكلمة المفردة إلى
النظرة الكلية الشاملة للنص المكتوب والتحليل النقدي للخطاب،
أصبح تجاوزُ الجزئي إلى الكلي طريقة في التناول ومنهجاً في
التحليل.

تؤدي لسانيات النص إلى اكتشاف بلاغة الخطاب
والوقوف على جمالياته وقيمه البلاغية المتجددة التي لا يقوى
نحو الجمل المحدود على استخراجها كما أتاحت لسانيات النص
الانفتاح على مجالات معرفية وثقافية مختلفة ، ولم تعد دراسة
اللغة منحصرة في دائرة الأصوات والتركيب بل انفتحت على
الأنساق المعرفية لان اللغات الإنسانية تمثل مركزاً رئيساً للثقافة
ومرآة حقيقية لها.⁽¹⁾

⁽¹⁾ في علاقة اللسانيات بالثقافة والمعرفة أهمية البعد الثقافي في البحث اللساني : ينظر
عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب واتساق الثقافة، الدار العربية للعلم ناشرون
بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ك1، 1421هـ، 2010م، ص، 9/8.

نصيح القرآن:

تبوأ تأويل النص القرآني في الفكر العربي في عصر النهضة موضع الصدارة إذ أثّرت تساؤلات حول النص وطريقة التعامل معه والنظر فيه ، وما هي المقدمات المعرفية والمنهجية لفهم النص الشرعي وقراءته قراءة تأويلية جديدة والغالب على هذه القراءات التأويلية أنها تشكك في المقولات الفكرية الموروثة وتستخدم مقولات فكرية ومنهجية غريبة جديدة أو تستخدم مقولات قديمة بعد إفراغها من محتواها ، ومهجها دلالة جديدة كمقاصد المتكلم وتأويل المخاطب.

السمت النظمي والقرآن:

إذا كان الشعر متفرد بنظمه وأساليبه وعباراته ونماذجه فإن القرآن الكريم امتاز بتماسك معانيه واتساقها ، فلم يعد للفظ واحد وجود إلا بسابقه وتاليه ، ولو غيرت لفظا مكان لفظ لارتبك التعبير واضطرب وخرج من باب البلاغة إلى باب الكلام المألوف ولما أخرجت عبارات القرآن العظيم ذلك الإخراج تميز بناؤه اللغوي والبلاغي وتفردت عباراته البديعية ، فالقرآن من أوله إلى آخره نص واحد كامل متكامل متماسك مؤتلف لا تبديل ولا تحريف فمن أين جاءت هذه النصية البليغة؟.

فنصوص القرآن تعالج من جهة كون القرآن وحدة
بنائية بكل سوره وآياته وأجزائه وأحزابه أو البناء المحكم الذي
يتمتع اختراقه لمتانته وقوته.⁽¹⁾

قال حافظ أبو الفرج ابن جوزي: "لما كان القرآن
العزیز اشرف العلوم كان الفهم لمعانيه أوفى الفُهوم ؛ لأنَّ شرف
العلم بشرف المعلوم"⁽²⁾ فقد بدأ. تظهر في ساحة المناهج
مقاربات نصية حديثة تقوم على التماس مواطن الانسجام
والتماسك في بناء النص القرآني والبحث عن عناصر التساند
في البنية اللفظية والمضمون الدلالي ، ففي المقاربة النصية ما
يخدم الغرض ، ويقف عند أسرار القرآن وجماليته التي تركز
على الاستمداد من بنيته النصية.

مظاهر بناء النص في القرآن الكريم:

لقد نفى بعض الباحثين المعاصرين عن القرآن الكريم
كل مظاهر النصية الموجودة و للقرآن الكريم⁽³⁾ ، وأنه ليس نصا
منهجيا بالمعنى الحديث الذي يتطلب من الترابط في مستوى

(1) طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، سلسلة دراسات قرآنية /كتبة الشروق
الدولية ، القاهرة، ط1 1427هـ، 2006م.

(2) زاد الميسر في علم التفسير ، ابن جوزي، تح ، احمد شمس الدين، دار الكتب
العلمية، بيروت، ص 45.

(3) ينظر: المصطفى تاج الدين: التحليل اللساني وعالمية القيم الدينية، مجلة الإحياء
الرابطة للعلماء ع32 ، 1431 هـ ، 2010م، ص، 183/168.

التأليف اللغوي ، بل ذهب بعضهم إلى أن القرآن الكريم مجموعة من المدونات كمدونة العقيدة والشريعة والقصص، وهذا رأي يخلو ويفتقر إلى الأدلة على خلو النص القرآني من عناصر التماسك والانسجام.

وعندما نتحدث عن الانسجام والتماسك في النص فإننا نقف عند معيارين من معايير بناء النص أو ما يدعى بالنصية (textuality)⁽¹⁾ فالتماسك والاتساق (cohérence) مفهوم يعنى بخصائص والربط النحوي بين الجمل والعبارات لتأليف بنية نصية متماسكة مترابطة ويعتمد الترابط النحوي على الإحالة والربط بحروف العطف ، أما الانسجام (cohésion) فيدخل فيه الترابط الموضوعي للنص الذي يجعل النص وحدة دلالية (2)

يقول سيد قطب: "إن جمال القرآن الكريم ليس في كونه أجزاء وتفاريق ، وإن كان للأجزاء جمال وسحر ولكن جماله في كونه جملة موحدة يقوم على قاعدة خاصة فيها من التناسق العجيب ما لا يدركه إلا من عرف قيمته وعانى قراءته ومدارسه

(1) يراجع: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي، المركز الثقافي

العربي، الدار البيضاء، ط2، 2002

(2) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ص، 27.

ووقف على صميم النسق القرآني الذي هو منبع التأثير
والسحر. (1)

من أهم مزايا بيان القرآن بالقرآن أنه يضع اليد على
مظاهر التماسك والانسجام في النص الكريم ويُكونُ للمفسر
ملكة يدرك بها أساليب القرآن وحقائق نظمه ، وفي ذلك يقول
ابن كثير في خطبة تفسيره: " إن أصبح الطُّرُق في ذلك أن
يفسر القرآن بالقرآن فما أجملَ في مكان فإنه قد بُسط في
موضوع آخر " (2) فشرح كلمة قرآنية بأخرى أو جملة بأخرى أو
آية بآية من القرآن يُعد من مظاهر انسجم النص القرآني.

ومن مظاهر انسجام النص القرآني وتماسكه بنائية كل
المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية التي تُعنى بالعلاقات الكبرى
بين أجزاء النص ومن شأن الدراسة النصية أن تجنب النص
القرآني القراءة التجزيئية وتقدم قراءة جامعة تنتظم فيه الكلمات
والآيات والسور في سلك واحد وتنتظم فيه المعاني والدلالات
والمقاصد في أصل واحد فيبدو النص القرآني كله قطعة واحدة
يكون فيها الكلام متحدا وهذا الجامع بين الأجزاء سماه الإمام
البقاعي بالأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع

(1) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن..

(2) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تح، سامي بن محمد
سلامة ، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع / ط2، 1420÷، 1999.

القرآن⁽¹⁾ وهذا للنظر إلى الغرض الذي سبقت له السورة والغرض من المقدمات ومراتبها في القرب والبعد من المطلوب.

وقد أشار الإمام فخرالدين الرازي إلى أن أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في الترتيب والروابط⁽²⁾ ، ويدخل في باب المناسبة على ما سبق التذييل وهو باب من أبواب البديع وضرب من التعقيب على ما سبق في الآية وهو أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ (سبأ: 17) ؛ أي لا يجازي ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور⁽³⁾ ومثله ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ (الإسراء: 81) وبعده ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: 81) نلاحظ بين مضمون الآية ومضمون التذييل انسجاماً وتآلفاً وتناسباً فلا نجد آية عقاب تذييل بآية رضوان ، فإن البيان القرآني وأدواته يتجه نحو رعاية

(1) هو علم تعرف منه علل الترتيب والترتيب وموضوعه أجزاء الشيء التي يستحقها بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق، بناء على أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ، و مقصود كل سورة هاد إلى تناسبها (أبو بكر البقاعي) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تح، عبد الرزاق غالب المهدي ن دار الكتب العلمية ، بيروت، 1415هـ ، مقدمو الكتاب

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، مقدمة الكتاب.

(3) المصدر السابق ، البقاعي، مقدمة الكتاب.

مطالب المعنى وتناسب الصدور والخواتيم ومن الشواهد عبارات التذييل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران : 152) ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران : 153).

ويدخل في المناسبة أيضا التتيم وهو إرداف الكلمة بأخرى ترفع اللبس وتقربها من الفهم وتتم المعنى إما مبالغة أو احترازا أو احتياطا نحو قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة : 206) تم المعنى بقوله، بالإثم وذلك أن العزة تكون محدودة ومذمومة ، ضمن مجيئها محمودة: ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة : 54) فلو أطلقت كلمة العزة لتوهم فيها بعض من لا عناية له العزة المحمودة لذلك قيل بالإثم تنميما للمراد فرفع اللبس فيها⁽¹⁾

كما يدخل في المناسبة أيضا تجانس الألفاظ والمزاوجة بينها كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة : 194) ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة: 14).

(1) احمد بن يوسف السمين الحبكي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تح، أحمد الخراط / دار القلم ، دمشق ، 1994، ج2، ص، 354.

وقد أشار الجاحظ إلى نظم القرآن واستمراره واطراد أساليبه على الصفة العالمية في البلاغة والفصاحة قال: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق ذلك منها ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب وفي موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ، والناس لا يذكرون السَّغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث ، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأرضين ولا السمع أَسْماعا والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال.(2)

فالنص القرآني نص متماسك مترابط الألفاظ لغويا ونحويا ينشئ نظاما ومعمارا محكما لا يقبل التجزئة حتى قالوا إن القرآن كله كالسورة الواحدة يذكر الشيء في سورة ويأتي بالجواب في سورة أخرى⁽¹⁾ نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا

(1) أبو عثمان الجاحظ، البيات والتبيين ، تح، عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998. ج1، ص، 20.

(2) ابن هشام الأنصاري/ مغني اللبيب في كتب الأعراب ، تح، عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، السلسلة التراثية ، ط1، الكويت، 200، 1421، ج3، ص، 336.

الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿ (الحجر: 6) وجوابه: "﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (القلم : 2)

ومن مظاهر الانسجام الجمع بين غرضين مختلفين كالجمع بين التعزية والفخر في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: 26) و﴿يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن : 27).

الملاءمة والالتفاف بين اللفظ واللفظ والمعنى:

نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُونُسُ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (يوسف : 85) فقد أقسم بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء وبأبعد صيغ الأفعال الناسخة وهي تفتأ أغرب من تزال.

ومن ملاءمة الألفاظ لمعانيها التناسب بين اللفظ والمعنى في الفخامة أو الجزالة والغرابة أو التداول أو التوسط والاعتدال ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسْكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (هود : 113) فالركون إلى الظلم دون مشاركة في الظلم يعاقب عليه بالمس بالنار فقط دون الإحراق.

حسن النسق: وهو أن يأتي المتكلم بكلمات متتالية معطوفة متلاحمات تلاحما مستحسننا بحيث إذا أفردت كل جملة منه

قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها كقوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَا
أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود : 44)
وما تحدث عنه ابن معصوم فى باب حسن النسق⁽¹⁾ جعل
الآية معطوفة بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب
الذي تقتضيه البلاغة من الابتداء بالأهم الذي هو انحسار الماء
عن الأرض المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة من
الإطلاق من سجنها ثم انقطاع ماء السماء المتوقف عليه تمام
ذلك من دفع أذاه بعد الخروج ومنع إخلاف ما كان بالأرض ثم
الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذي هو متأخر عنه
قطعا ثم قضاء الأمر الذي هو هلاك من قُدر هلاكه ونجاة من
سبق نجاته.

الف والنشر:⁽²⁾

هو ذكر شيئين أو أكثر إما إجمالاً أو تفصيلاً بالنص
على كل واحد فمن الإجمال قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ
الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة : 111) ؛ أي قالت اليهود

(1) نقلا عن السيوطي فى الاتقان.

(2) بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين الفيروزابادي، ج1، ص71

لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى لا يدخل
الجنة إلا من كان نصارى والذي سوغ الإجمال في اللف ثبوت
العناد بين اليهود والنصارى.

المشاكل أو التشاكل:

هو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في سياقه فكلمات
النص تدخل في علاقة مشاكلة فتكون كل كلمة من تلك
الكلمات مُحَمَّلة بقيود تُخصصها فتُرجح خصائص وتستغني عن
أخرى، حتى تتسجم أجزاء لكلمة وذلك أن الكلمة في ذاتها تكون
متعددة السمات والدلالات ولا تتخلص من كثافتها غلا عندما
تدرج في سياق تركيبى معين وذلك لتحصل التشاكل
الدلالي isotopie⁽³⁾، فمن المشاكلة قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة :
116) (إفطار النفس في جنب الله سبحانه وتعالى إنما ورد
لمشاكلة ما معه وكذلك المكر.

المطابق والمقابل:

والمطابقة الجمع بين متضادين في النص نحو قوله
تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

(1) عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، دار توفيق للنشر،
الدار البيضاء، ط1، 2001م، ص، 90.

(التوبة : 82) وقوله : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (الكهف : 18)؛ أما المقابلة فتكون بذكر لفظين فأكثر ثم أضداده على الترتيب كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ و﴿صَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ (الليل : 6)، ﴿فَسُنِيسِرُهُ لَيْسَ رَى﴾ (الليل : 7)، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (الليل : 8)، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ (الليل : 9)، ﴿فَسُنِيسِرُهُ لَيْسَ رَى﴾ (الليل : 10)، قابل بين الإعطاء والبخل والانتقاء والاستغناء والتصديق والتكذيب ، اليسرى باليسرى.

بالمع التتويع والتلوين:

قال ابن جني: "كلام العرف كثير وأعذب ما فيه الانحرافات ولطيف المقاصد والجهات وأعذب ما فيه تَلَفُتٌ وتثنيته (1)

فمن جماليان النص القرآني أنه جمع بين الافتتان والتتويع في الموضوعات ، ولتلوين والافتتان في الأسلوب في الموضوع الواحد من التعبير كما لا يستمر على هدف واحد من المعاني، بل تنتقل من السورة الواحدة من معنى إلى معنى ومن المعنى الواحد من إنشاء وإخبار، والأصل في تلوين الخطاب الأدبي يكون بأسلوب الالتفات وهو نقل الكلام من المتكلم أو

(1) ابن جني : المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تح، علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

المخاطب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول وفائدته
تطرية الكلام وتجديده.

ونصوص القرآن مليئة بأسلوب الالتفات والتنويع بين
الضمائر لإغراض النص دلالة النص.

كيفية يكون تنوع صور التلوين ⁽¹⁾ في الأسلوب القرآني
كطريقة لترابط النص وتماسكه؟

فأول شرط لتحقيق نصية القرآن حصول الترابط بين أجزائه
وجمله والترابط شبكة كبرى من العلاقات التي تشد أنواعا
مختلفة من العناصر، ففي النص روابط تصل مجالات الدلالات
المعجمية بعضها ببعض وروابط منطقية تربط بين الجمل.

أسلوب التلوين فلاح دلالة الفعل علاج الزمن:

في إطار بلاغة التنويع والتلوين في أسلوب النص
القرآن نجد القرآن يعتمد أحيانا أسلوب المغايرة والتلوين ⁽²⁾ في
دلالة الفعل على الزمن الواحد نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ
يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾ (الإسراء : 18)؛ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ

⁽¹⁾ طه رضوان طه، تلوين الخطاب في القرآن الكريم، مكتبة الدراسات القرآنية، دار

الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 2000م: ص: 341.

⁽²⁾ المصدر السابق، ص، 342.

وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾
 (الإسراء : 19)، (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا
 كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) (الإسراء : 20)، ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
 بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
 تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء : 21)؛ فوجه التلوين ظاهر في الانتقال من
 صفة مركبة للفعل الماضي (كان يريد) إلى صيغة مجردة
 منه (أراد) في الآيات تلوين للأسلوب بالانتقال من صيغة
 المتكلم (عملنا.. نشاء...نريد...جعلنا..نمد) إلى صيغة
 الغائب (عطاء، ربك) ثم العودة إلى المتكلم فضلنا وفيها أيضا
 تلوين للأسلوب بالانتقال من المشيئة إلى الإرادة وهما فعلا
 متغايران ولكنهما متقاربان ، ثم التلوين بين الجملة الفعلية
 (عجلنا) التي تفيد الحدث والعبور للتعبير عن جزاء حب
 العاجلة والجملة الاسمية (فأولئك كان سعيهم مشكورا) التي تفيد
 الثبوت؛ أي ثبوت جزاء إرادة الآخرة.

الضمير ووظيفته الربط:

من وظائف الضمير في اللغة العربية الاختصار لأنه
 يقوم مقام الظاهر ويُغني عن تكراره ومن وظائفه الربط ووصل
 الجمل بعضها ببعض والإحالة على سابق وهي عودته على
 متقدم بما يغني عن ذكره وبما يربط آخر الكلام بأوله، هذا ولا

بد للضمير من مرجع يعود إليه ويكون المرجع إما ملفوظا به سابقا مطابقا له نحو قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ (هود : 42)؛ ﴿عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه : 121)، أو متضمنا له نحو: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة : 8)، فإن الفعل اعدلوا يتضمن الاسم المرجع وهو العدل أو دالا على عليه بالالتزام نحو: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر : 1) ؛ أي القرآن، فإن الإنزال يدل عليه التزاما أو متأخرا لفظا لا رتبة نحو: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه : 67)، أو متأخرا دالا بالالتزام نحو: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ (الواقعة : 83)، فقد أضمرت الروح لدلالة الحلقوم عليها وقد يدل على السياق على الاسم الذي يرجع عليه الضمير فيضممر ثقة بفهم السامع وعلمه نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن : 26).

المراجع والمصادر:

- 1 . ابن جنى أبو الفتح عثمان بن جنى، المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق عبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء الكتب، القاهرة، مصر، 1994م،
- 2 . ابن خلدون، (عبدالرحمن) مقدمة ابن خلدون.
- 3 . ابن الجوزي (عبدالرحمن)، زاد الميسر فى علم التفسير، تح، شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2006م.
- 4 . ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر) تفسير القرآن الكريم العظيم، تح سامي بن محمد سلامة ، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 ، 1420 ، 1999م.
- 6 . ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق د. مازن مبارك، ط4، بيروت.
- 6 . ابن معصوم المدني (علي صدر الدين) (ت 1120)أنواع الربيع فى أنواع البديع، تح، هادي شاكى ، مطبعة، النعمان، النجف الأشرف، 1389هـ، 1969م.
- 7 . أبو موسى محمد محمد، قراءة فى الأدب القديم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1427هـ، 2006م

- 8 . البقاعي(إبراهيم بن أبي بكر) نظم الدرر في تناسب الآيات
والسور، تح، عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ،
بيروت، 1415هـ.
- 9 . بوجراند(روبرت دي) النص والخطاب والإجراء، تر، تمام
حسان ، عام الكتب ، القاهرة، ط2، 2007م.
- 10 . تاج الدين المصطفى، التحليل اللساني وعالمية القيم
الدينية / مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء / ع32،
2002م.
- 11 . الجاحظ، البيان والتبيين.
- 12 . الجاسم، محمود حسن/ مفهوم النص في العربية بين القديم
والحديث/ مجلة جذور، النادي الأدبي والثقافي، ع31، 2010م.
- 13 . الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، تح، محمود
محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 14 . حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح، محمد
الحبيب ابن خوجة، دار الغرب، الإسلامي ، بيروت.
- 15 . حسان تمام، البيان في روائع القرآن، منشورات عالم
الكتب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003م.

16 . سليم عبد الإله ، بيانات المشابهة فى اللغة العربية ،
مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1،
2001م.

17 . السمين الحلبى، (أحمد يوسف)، الدر المصون فى علوم
الكتاب المكنون، تح، احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،
1994م.

18 . السيوطى (جلال الدين).

* معترك الأقران فى إعجاز القرآن، تح، أحمد شمس الدين، دار
الكتب العلمية، بيروت.

* الإتقان، تح، مصطفى ديب النُّغا ، دار ابن كثير، دمشق،
بيروت، ط2، 2006م.

20 . الغدّامى عبدالله، تشريح النص، مقاربة تشريحية لنصوص
شعرية معاصرة المركز الثقافى العربى، ط2، 2006م.

21 . فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ،
ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، ط1 ،
1996م.

- 22 . الفيروز آبادي (محمد الدين) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
- 23 . القرطاجني، (حازم) منهج البلغاء وسراج الأدب، تح ، محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الاسلامي، 1986م.
- 24 . المتوكل أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار العربية لعلوم العربية، ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م.